



قِصَّةُ أَصْحَابِ الجَنَّة

بقلم : أ. عبد الحميد عبد المقصود

إشراف : أ. حمدى مصطفى



هذه قصةٌ من القصص القرآني تفيض حكمةً وعظةً وتذكرةً وعبرةً لمن أراد أن يتعظ أو يتذكر ..

وقد وقعت أحداثها في بلاد «اليمن» بعد بعثة النبي «عيسى» عليه السلام .

وكانت أحداث هذه القصة معروفة لـ «قريش» وأهل مكة وشائعة بينهم في زمن النبي «محمد» ﷺ .. ولهذا ضربها الله (تعالى) لهم مثلا ..

وسبب أن الله (تعالى) قد ضرب هذه القصة مثلا لـ «قريش» هو أن زعماء «قريش» وسادتها ـ وهم أهل الغنى والثراء ، والقوة والسلطان والجبروت والتكبر ـ كانوا يتطاولون على ضعاف المؤمنين من صحابة النبي ﷺ ويذيقونهم صنوفا من العذاب وألوانا من الاضطهاد ..

بل إن أذاهم بالقول والفعل قد امتد إلى شخص رسول الله ﷺ .. لماذا ؟!

لأن الرسول ﷺ لم يكن من أثرياء «مكة» الذين يملكون الذهب والفضة ، وهو ﷺ لو شاء لصارت معه الجبال ذهبا وفضة ..

* * *

وقد أنزل الله (تعالى) هذه القصة في القرآن الكريم ، مذكرا كفار «قريش» بعاقبة الكفر والجحود ، والبخل وبطر النعمة ، والشح وأكل أموال الفقراء بالباطل . ومنع حقوقهم التي أوجبها الله (تعالى) لهم في أموال الأغنياء ، وأن من يفعل ذلك ، فإن

عاقبته تكون وخيمة ، وأن الله (تعالى) يرد مكره عليه ويجعل تدميره فى تدبيره ..

وهذه القصة تتجاوز بأحداثها وأشخاصها والعبرة منها حدود الزمان والمكان ، اللذين وقعت فيهما ، وتتجاوزهما إلى كل زمان ومكان آخرين ، بما فى ذلك زماننا الحاضر ، وكل زمان ومكان منذ أن خلق الله (تعالى) البشر وأسكنهم الأرض ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ..

فهى قصة لا يكاد يخلو منها زمان أو مكان ..

لأنها قصة النفس الشحيحة الحريصة على متاع الحياة الدنيا الزائل .

قصة النفوس الحريصة على أكل حقوق الفقراء ، التى أوجبها الله (تعالى) فى أموال الأغنياء ..

* * *

مكان الأحداث .. أرض اليمن .. وبالتحديد فى قرية تسمى «ضروان» وتقع على مسافة قصيرة من مدينة (صنعاء) العاصمة ..

زمن الأحداث .. بعد بعثة النبى «عيسى» عليه السلام بوقت قصير ، وقبل بعثة النبى «محمد» ﷺ ..

ففى قرية «ضروان» ببلاد «اليمن» عاش بطل هذه القصة .. وهو واحد من الصالحين ..

كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مُؤمنًا تَقِيًّا وَرِعًا ..

وكَانَ ثَرِيًّا أَوْ مستورًا .. وكَانَ مُحسنًا كَرِيمًا يَعْرِفُ حَقَّ اللَّه (تَعَالَى) عليْه ، ويُؤدِّيه دُون تَهَاوُن فيه أبدًا ..

كَمَا كَانَ يَعْرِفُ حُقُوقَ النَّاسِ عليْه ، خَاصَّةً حُقُوقَ الفُقَرَاءِ والْيَتَامَى والْمَسَاكِين ؛ فَلَمْ يَهْضِمْ حَقَّهُمْ عليْه أبدًا ..

بَلْ كَانَ يُسَارِعُ بِإخْرَاجِ زَكَاةِ زرعه ومَاله أوَّلاً فأوَّلاً ، وَدُونَ تَهَاوُنٍ أَوْ تَقَاعُسٍ أَوْ تَكَاسُلٍ ..

وكَانَ لِهَذَا الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ التَّقِيِّ ثَلاثَةٌ من الأَوْلاد..

وكَانَ يُعَلِّمُهُمْ مُنذُ صِغَرِهِمْ أَنْ يَهْتَمُّوا بِحُقُوقِ الْفُقَرَاءِ والْمَسَاكِين عليْهِمْ .. وألاّ يتَهَاونُوا فِي إخْرَاجِ زَكَاةِ أمْوالِهِمْ .. وكَانَ يُرِيهِمْ بِنَفسِه كَيْفَ يُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّه ..

* * *

وكَانَ هَذَا الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ الصَّالِحِ يمتلكُ جَنَّةً (بُسْتَانًا) عَامِرَةً بِأَشْجَارِ الفَاكِهَةِ والنَّخِيلِ ، التي تَتَخَلَّلُهَا الزُّرُوعُ الْمُخْتَلِفَةُ من خُضَرٍ ومَحَاصِيل ..

وكَانَ الرَّجُلُ يَبْذُلُ غَايَةَ جُهْده فِي الاهْتمَام بجَنَّته ورعَايَة زَرْعهَا وأَشْجَارِهَا .. وقَدْ بَارَكَ اللَّهُ (تَعَالَى) فِي جنته ، فكَانَتْ تُؤْتِي أُكُلَهَا وتُخْرِجُ زرعها وثمرها بِإِذْنِ رَبِّهَا ، ولا تنقصُ منه شيئًا ..

وكَانَتْ للرَّجُلِ التَّقِيِّ الصَّالِحِ عَادَةٌ حَسَنَةٌ يَتَّبِعُهَا فِي نَاتِجِ جنته

منَ الثِّمارِ والْمَحاصيلِ .. فقدْ قسَّمهُ إلى ثلاثةِ أقْسامٍ ..

ثُلُثٌ يُخْرِجهُ زكاةً للفقراءِ والْمساكينِ واليتامى والْمُحتاجينَ ..

وهَذا الثُّلُثُ كانَ يحرِصُ على أنْ يكُونَ من أحْسنِ الثَّمرِ وأجْودِ المحَاصيلِ ..

وثُلُثٌ يدَّخرُهُ لقُوتِه وقُوتِ عيَالِه طُوالَ العامِ .. والثُّلُثُ الأخير يَبيعُهُ ليشْترِيَ منْهُ البُذورَ والشَّتلاتِ وينْفِقَ منْهُ على البُسْتانِ ..

وكانَ الرَّجُلُ التَّقيُّ يحْرِصُ على دعْوةِ الفُقَراءِ والْمساكينِ والْيَتامى والْمحْتاجينَ إلى بستانِه في يومِ حصادِ الزَّرْعِ والثَّمرِ ؛ حتى يأْخُذَ كُلٌّ منْهمْ نصيبَهُ في الْحَالِ ..

هكَذا صارَ الرَّجلُ التَّقيُّ الصَّالحُ على هذه الْحَالِ لسنواتٍ وسنَواتٍ ، فبارَكَ اللَّهُ (تعالى) في بستانِه ومالِه..

* * *

ولَمَّا وافَى الرَّجلَ الصَّالحَ التَّقيَّ أجلُهُ الذي قُدِّرَ لَهُ ، أوْصى أوْلادَهُ وصيَّتَهُ الأخيرةَ ، وحضَّهمْ على عملِ الْخيرِ .. ثُمَّ لفظَ أنْفاسَهُ الأخيرةَ ، وغادرَ الْحياةَ الدُّنيا ؛ ليلْقى حظَّهُ من الْكرامةِ والتَّكْريمِ في جنَّةِ ربِّ العالَمينَ ، جزاءَ برِّه وتقْواهُ ، وأداءِ حقِّ الْمُحْتاجينَ والفُقَراءِ ..

وورثَ أوْلادُهُ البُسْتانَ منْ بعْدهِ ، وكانَ الْبسْتانُ عامرًا بالزُّروعِ والثِّمارِ ، التي تركَها الأبُ الرَّاحلُ ، والتي حانَ موْعدُ جنْيها ، ولكنَّ الأبْناءَ كانتْ نفوسُهمْ شحيحةً عكْسَ أبيهمُ الْكريمِ الراحلِ .

ولذلك قَرَّرُوا أنْ يُديروا البُسْتَانَ على طَرِيقَتِهِمْ هُمْ ولَيْس على طَرِيقَةِ أَبِيهِم .

اجْتَمعَ الإخْوَةُ الثَّلاثَةُ لِيَتَشَاوَرُوا في أمْرِ البُسْتَانِ ، فَقَالَ كَبِيرُهم :

ـ لَقَدْ كَانَ أَبُونَا رَحِمَهُ اللَّهُ يُبَعْثِرُ نُقُودَهُ هَبَاءً على الفُقَرَاءِ ، لَقَدْ كَانَ غَيْرَ مُحقٍّ حِينَ يَمْنَحُ الفُقَرَاءَ كُلَّ هذا القَدْرِ مِن مَحْصُولِ وثِمَارِ بُسْتَانِنَا ، وقَالَ الأَخُ الأَوْسَطُ مُوَافِقًا :

ـ مَعَكَ حَقٌّ ، فَنَحْنُ الذينَ نَعْمَلُ ونَكِدُّ ونَتْعَبُ في الزَّرْعِ والْحَرْثِ والسَّقْيِ والحَصَادِ ، ثُمَّ يَأْتِي هؤُلاءِ في يَوْمِ الْحَصَادِ لِيأْخُذُوا ثَمرةَ كَدِّنَا وتَعَبِنَا ، دُونَ أن يَبْذُلُوا أيَّ مَجْهُودٍ ، وكَأَنَّ البُسْتَانَ ، بُسْتَانُهُم والزَّرْعَ زَرْعُهم ، ولَيْس بُسْتَانَنَا نَحْنُ وزَرْعَنَا ، فَتَجَاوَبَ مَعَهُ الأَخُ الأَصْغَرُ قَائِلاً :

ـ نَحْنُ أَحَقُّ بِمَا يَأْخُذُهُ هؤُلاءِ المُتَطَفِّلُونَ دُونَ وَجْهِ حَقٍّ ، ودُونَ جُهْدٍ .. إنَّهُمْ يَأْخُذُونَ مَا يَأْخُذُونَ عَنْوَةً ..

وقَالَ الأَخُ الأَكْبَرُ :

ـ صَدَقْتَ ، لَنْ نُفَرِّطَ في قُوتِنَا وقُوتِ أَبْنَائِنَا بَعْدَ الآنَ لِيَأْخُذَهُ هؤُلاءِ بِهذه البَسَاطَةِ ..

قَالَ الأَخُ الأَوْسَطُ بَعْدَ تَفْكِيرٍ وتَرَدُّدٍ :

ـ إنَّنَا بِذَلِكَ نَعْتَدِي على حُقُوقِ هؤُلاءِ النَّاسِ ، ونُعَطِّلُ فَرِيضَةَ

الزَّكَاة كَمَا أَن ذَلكَ لَيس مِنَ البِّر لأَبينَا الرَّاحِلِ ـ علَيْه رحْمَةُ اللَّه ـ ، ولا منَ الوَفَاء لَهُ .. فَتبَادلَ الأَصغَرُ نَظْرَةً مع الأَخ الأَكْبرِ وقالَ :

ـ هَلْ أَنْتَ مُوافِقٌ على ما سَنقُومُ بِه أَم لا ؟!

فَقالَ الأَخُ الأَوْسَطُ :

ـ مُوافِقٌ ، ولَكِنْ كَيفَ سَنفعَلُ ذَلكَ ؟! كَيفَ سَنمنَعُ هَؤُلاءِ الفُقَراءِ حقَّهُم الذى منحَهُ لَهُمْ أَبُونَا مُنْذُ سَنَوات طَوِيلَة ..

قَالَ الأَخُ الأَصْغَرُ :

ـ هَذَا صَحِيحٌ .. لَقَدْ تعوَّدُوا أَنْ يَأْتُوا إِلى البُسْتَان فى وَقْت الْحَصَاد ؛ لِيَأْخُذُوا ثُلُثَ الْمَحْصُولِ والثِّمَارِ .. لَنْ نَسْتَطِيع التخلُّصَ منهم بالبَسَاطَةِ التى نَتصورُها ..

وقَالَ الأَخُ الأَوْسَطُ :

ـ ما إِنْ يَسْمَعُوا أَنَّنا نحصدُ الْحصَاد ؛ حتى يَأْتُوا إِلى الْبُسْتَان دُونَ سَابِقِ دَعْوَة أَوْ إِنْذَار ..

أَمَّا الأَخُ الأَكْبرُ فَتبَسَّمَ وقَالَ بلَهْجَة الْوَاثِق من نفْسه :

ـ لَدَىَّ خُطَّةٌ مُحْكَمَةٌ .. أَقْصِدُ حِيلَةً نَحْتَالُ بِها ، حتى نَنْجُو بِمَحْصُولِ بُسْتَانِنَا كَامِلاً ، دُونَ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ..

فَتَطَلَّعَ إِلَيْه أَخَوَاهُ ، وقَالَ الأَخُ الأَصْغَرُ فى لَهْفَة : كَيْفَ ؟!

قَالَ الأَخُ الأَكْبرُ وكَأَنَّه يفجرُ قُنبلَةً :

ـ نَحصُدُ ثمارَ الـمَحْصُولِ فى الصَّباحِ الْبَاكرِ جداً ، ونَنقلُهُ إلى بُيُوتنا سراً وقَبْلَ أنْ يستيقظ هؤلاءِ الفُقراءُ من نومِهم ويعلموا ما حدث .

صَاحَ الأَخُ الأَصغرُ مُتهلِّلاً بالْفرحِ :

هذه هى الفكْرةُ ، وعنْدما يستيقظُ هؤلاءِ الْكسالى من نومِهمْ نكُونُ نحنُ قدْ وضعنا الـمَحصُولَ فى الـمخازنِ ، وأغلقنَا عليهِ الأبْوابَ والْمتاريسَ .

وقَالَ الأَخُ الأَكْبرُ مُتهكِّماً فى سُخْرِيةٍ :

ـ وطَالَـمَـا أَنَّهُ وُضِعَ فى الْـمَخَازِنِ ، فلَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدُهُمْ أَنْ يَنْتزِعَ حبَّةً واحدةً ..

فَقَالَ الأَخُ الأَوْسطُ وكَانَ أَكْثرَهُم اعتِدالاً فى التَفْكِيرِ :

ـ حَلٌّ حَاسِمٌ ، لَكِنَّ تَنفِيذَهُ يحْتَاجُ إلى عَددٍ أَكْبَرَ من الْحَصَّادينَ والْحَمَّالِينَ ، حَتى نَتمكَّنَ من إنْجازِ الْعَمَلِ كُلِّهِ فى الصَّبَاحِ ، أَقْصدُ أَنَّنى لَستُ مُستريحا لهذا الأمرِ .

قَالَ الأَخُ الأَكْبرُ :

ـ الْـمُهِمُّ أَننَا كُلَّنَا مُوَافِقُونَ ..

فَقَالَ الأَصْغرُ :

ـ بالتأْكيد .. هلْ يرفُضُ أحدٌ زِيادَةَ دخْلِه إلى الضِّعْفِ ؟ !

وقَالَ الأَخُ الأَكْبرُ :

ـ طَالَـمَا أَنَّنَا كُلَّنَا مُتَحمِّسُونَ للْفِكْرَةِ هكذَا ، فَيَجِبُ أَنْ نَضعَ

أَيْدِينَا فِى أَيْدِى بَعْضِنَا نَحْنُ الثَّلاثَةَ حَتَّى نَتعاهد وَنُقْسِمَ على ذلِكَ .

فَوَضَعَ الإِخْوةُ الثَّلاثَةُ أيْدِيهم فِى أَيْدِى بَعْضِهِمْ ، وقَالُوا معًا وفى نَفَسٍ واحد :

ـ نُقْسِمُ أَنْ نَقْطِفَ ثِمَارَ جَنَّتِنَا فِى الصَّبَاحِ البَاكِرِ . .

* * *

وهكَذَا استقرَ رَأْىُ الإِخْوَةِ الأَشحَّاء على مَنْعِ الفُقَرَاءِ حَقَّهُمْ فى الزَّكَاة ، الذى كَانَ أَبُوهُمُ التَّقِىُّ الرَّاحِلُ يؤَدِّيه إِلَيهِم . .

وأَقْسَمُوا على تَنْفِيذ ذَلِكَ فى الصَّبَاحِ البَاكِرِ ، لَكِنَّهُمْ نَسُوا أَمْرًا مُهِمًّا ، وهُوَ أَنَّ كُلَّ شَىء بِإِرادة اللّه ورهن قُدرته ومَشيئته ؛ ولذَلِكَ نسُوا أَنْ يَستثنُوا فى قَسَمِهِم ، أى لَم يقُولُوا : «إِنْ شَاءَ اللّهُ» ، وكَأَنَّهم واثِقُون تمام الثِّقَةِ من قُدرتِهِم على تَنْفِيذِ مَا عزموا عليْه ودبروه .

وهكَذا بيَّتُوا النِّيَّةَ ، ونَامُوا لَيْلتهُم على أنْ يَسْتَيْقِظُوا فى الصَّبَاحِ البَاكِرِ لِجَنْىِ الثِّمَارِ وحِرمَانِ الفُقَرَاء . .

وبينما هُمْ يَغُطُّونَ فى نَوْمِهِم الهَادِئِ العَمِيقِ ، ويتَقَلَّبُونَ فى أَحْلامِهِمُ الهَانِئَة اللَّذِيذَة ، ونفوسهم الشَّحيحة الشِّرِّيرة تمنِّيهم الأَمَانِىَّ العِذَاب ، بِمَا سَوْفَ يحصُلُون عليه من محصُول يتَضَاعَفُ بِإِضافَة حُقُوق الفُقَراء إِلَيْه . .

ولَئِنْ كَانَ الفُقَرَاءُ البَائِسُونَ هُم أيضًا نَائِمُونَ وغَافِلُونَ عَمَّا

دَبَّرهُ لهم هؤلاء الْجُناةُ الأشحَّاءُ ، فإنَّ هُناكَ عيْنا ساهرةَ لا تغْفلُ ولا تنامُ ، وقُدرةٌ ترعى الضعفاءَ ، وتدفعُ تدبيرَ الْمدبرين وتبطلُ كَيدَ الأشقياء .. إنَّها عينُ اللهِ الساهرةُ التى لا تنامُ ، وقُدرتُه (سبْحانَهُ) التى لا تقفُ أمامَها قُدرةٌ ..

- ففى أثْناءِ اللَّيْلِ كانتْ هُناكَ مُفاجأةٌ ضخْمةٌ ومروعةٌ تعدُّ للإخْوةِ الأشحَّاءِ الأشْقياءِ ..

مُفاجأةٌ لا تخطُرُ على بالِ أحدٍ وليستْ فى حُسْبانِ أحدٍ من البشرِ ولا يَقْدرُ عليها أحدٌ سِوى اللهِ الواحدِ الأحدِ ، العادلِ الْمنتقمِ .

ففى الوقْتِ الذى كانَ فيهِ الإخْوةُ نائمينَ ، والفُقراءُ غافلينَ عمَّا دُبِّرَ لهمْ فى الْخفاءِ ، كانَ هناكَ تدبيرٌ آخرُ قدْ تمَّ فى الْخفاءِ ، وبمنتهى الدقَّةِ والإحْكامِ لأنَّه تدْبيرٌ إلهىٌّ من اللهِ الواحدِ القهَّارِ ..

فقدْ طافَ على الْجنَّةِ (الْبُسْتانِ) فى أثْناءِ اللَّيْلِ طائفٌ خفيٌّ من جنودِ ربِّكَ التى لا يعْلمُها إلا هُوَ (سبحانَهُ) ..

طَرقَها طارقٌ من جنودِ اللهِ الْخفيَّةِ ، التى يُرْسلُها (سُبْحانَهُ) على من يشاءُ من خلْقهِ العاصينَ الْجاحدينَ بالعذابِ والتَّدميرِ والهلاكِ .

قالَ بعْضهمْ إنَّ اللهَ (تعالى) أرسلَ على الْجنَّةِ (الْبُسْتانِ) نارًا ، فأحرقَتِ الزرْعَ والأشْجارَ والثِّمارَ ، ولمْ تترُكْ منها شيْئا ..

فى لحظاتٍ تحوَّلتِ الْخُضْرةُ والنَّماءُ إلى رمادٍ أسْودَ ، كُلُّ هذا

والإخوة نائمون لا يعلمون شيئا عما حدث لجنتهم من دمار وضياع.

وفي الصباح الباكر جداً ، استيقظ الإخوة ، وأخذ كل واحد منهم ينادي أخويه ليمضوا إلى موعدهم ؛ حتى ينفذوا ما اتفقوا عليه ، وعقدوا عليه العزم ليلا ، وراح كل منهم يشجع أخويه على الذهاب معه ويحرضهما قائلاً :

ـ اذهبوا مبكرين لحصد زرعكم إن كنتم عازمين على تنفيذ ما أقسمنا عليه من حرمان الفقراء ..

وانطلق الإخوة إلى بستانهم في حرص شديد وسرية تامة ، وهم يتحدثون بأصوات خافتة مهموسة حتى لا يسمعهم أو يحس بهم أحد من الفقراء والمساكين ؛ فيتبعهم إلى البستان ويدخل عليهم في أثناء عملية الحصاد ..

وزيادة في الحرص وإحكام التدبير على الفوز بكل حصاد البستان وثماره خالصا لهم ، راح كل منهم يوصي أخويه بذلك فقال الأخ الأكبر :

ـ إياكم أن تسمحوا لأحد من الفقراء والمساكين أو تمكنوه من دخول بستاننا ؛ حتى يفوز ببعض الثمار .. إياكم إياكم وإلا فشل تدبيرنا ..

وراح الأخوان الآخران يرددان نفس الكلام في تحد وإصرار على تنفيذه ..

وهكذا مضى الإخوة الأشحاء ، وهم عازمون مصممون فى أنفسهم أشد التصميم على منع أى فقير أو مسكين من دخول بستانهم أو الاقتراب منه ، وكانوا واثقين تماما أن فى قدرتهم فعل ذلك ، وأن أملهم قد تحقق كما خططوا له ودبروا .. وإن هى إلا لحظات حتى يصلوا إلى بستانهم ، ويسعدوا بحصد ثمارهم .

* * *

وكانت المفاجأة المذهلة .. لقد وصل الإخوة إلى جنتهم .

ووقفوا ينظرون فى دهشة وذهول .. فقد تبدل المنظر .. وبدل الخضرة والنماء والأشجار والثمار ، رأوا أرضا محترقة سوداء .. لقد تحول اللون الأخضر الناضر إلى ظلمة وسواد ورماد .. فصاح الأخ الأوسط مبهوتا :

ـ أين ذهبت الزروع والأشجار والثمار ، التى تركناها هنا بالأمس ، وجئنا اليوم لنحصدها ؟!

فرد عليه الأخ الأكبر فى ذهول :

ـ هذه ليست جنتنا التى نعرفها .. أعتقد أننا أخطأنا وضللنا الطريق إليها .. نحن تائهون ..

وقال الأخ الأصغر مبهوتا :

ـ هذا الكلام يبدو معقولا ومقبولا .. ومفهوما نعم ليست هذه جنتنا .. نحن تائهون ..

وأخذ الإخوة يحملقون في البستان بنظرات زائغة ، فتحققوا أنه بستانهم ، وأن أقدامهم لم تخطئ أو تضل الطريق كما تصوروا في البداية ..

وحين أفاقوا من صدمة المشاهدة الأولى ثابوا إلى رشدهم وعادوا إلى أنفسهم ، ورأوا أنهم يقفون أمام الحقيقة المؤلمة .

أمام جنتهم المحترقة ، والتي تحولت إلى رماد وسواد ..

فصاح الأخ الأكبر في تحسر :

ـ لم نضل الطريق .. بل نحن محرومون ..

وقال الأخ الأوسط في ندم :

ـ نعم نحن محرومون .. لقد حرمنا ثمر جنتنا وخيرها .. وحرمنا شجرها وزرعها .. لقد جنينا على أنفسنا .. ضاع جهدنا هباء ..

وقال الأخ الأصغر متحسرا :

ـ حرمنا ثمرة جنتنا وخيرها .. والأهم من ذلك حرمنا ثواب عملنا وزكاتنا ، وحل علينا غضب ربنا وعقابه .. يا ويلنا .. يا ويلنا .

فقال الأخ الأكبر :

ـ لقد حاق بنا عاقبة مكرنا السيئ ، ونياتنا الخبيثة ..

هَذه عاقِبَةُ منْعِ الفُقراءِ حُقُوقَهُمْ وأَكْلِ أموالِهِمْ ..

وصَاحَ الأَخُ الأَوْسطُ وكَانَ أعْقَلَهُمْ ، وكَانَ قَدْ وافقَ على مُتابَعتِهِم فِي هَذَا الأمرِ مُرْغَمًا :

ـ أَلَم أَقُلْ لَكُمْ أَنْ تُسَبِّحُوا اللّهَ ..

فقَالَ الأَخَوانِ : الأَكْبَرُ والأَصْغَرُ :

ـ « سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ » ..

* * *

ولَمَّا ثَابَ الإِخْوةُ إلى رُشْدِهِم ، ورَأَوْا مَا حَلَّ بِجَنَّتِهِمْ من الدَّمَارِ والْخَرَابِ ، أَخَذَ كُلٌّ منهُمْ يَلُومُ الآخَرَ ، ويُلْقي بالْمَسْئُولِيَّةِ عليْه ، وأنَّهُ كَانَ السَّبَبَ فِيمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ مُصِيبَةٍ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ للآخَرِ :

ـ أنْتَ السَّبَبُ .. أنْتَ الذي أوْحَيْتَ إلَيْنَا بِهَذِهِ الفكْرَةِ المُدَمِّرَةِ الشِّرِّيرَةِ ..

ويَرُدُّ عليْهِ الآخَرُ لائِمًا :

ـ بَلْ أَنْتَ السَّبَبُ .. لَوْلا مَشُورَتُكَ مَا كُنَّا فِيمَا نَحْنُ فِيهِ الآنَ .. فَيَقُولُ لَهُ الثَّالِثُ :

ـ بَلْ أَنْتَ الذي زَيَّنْتَ لَنَا هَذَا الأَمْرَ ، فَسِرْنَا وراءَكَ وحَدَثَ مَا حَدَثَ .. لَوْلاكَ مَا حَرَمْنَا الفُقَراءَ أموالَهُم ، ومَا حَلَّ بِنَا مَا حَلَّ ..

فلمَّا هدأَت ثورتُهم علمُوا أنَّهُمْ كانُوا جَميعًا مُخْطئِينَ ، فَتَوقَّفُوا عن لَوْمِ بعْضِهِم بعْضًا ، وقَالُوا جميعًا :

ـ يا هَلاكَنا ويا تعاستَنا .. لقدْ كُنَّا طَاغِينَ وظَالِمِينَ ..

وقَالَ الأَخُ الأَكْبرُ فى نَدَمٍ :

ـ لَقَدْ كُنَّا عَاصِينَ وبَاغِينَ حِينَ مَنَعْنَا الفُقَراءَ حقُوقَهُمْ ..

فقَالَ الأَخُ الأَوْسَطُ :

ـ وكُنَّا مُخْطئِينَ حِينَ تَخوَّفْنَا الْفَقْرَ ولَمْ نَتوكَّلْ على ربِّنَا حقَّ التَّوكُّلِ ، فَأَكَلْنَا حُقُوقَ الْفُقَرَاءِ والْمَساكِينِ ..

وقَالَ الأَخُ الأَصْغَرُ :

ـ لَقَدْ تبْنَا إِلَى ربِّنَا عَسَى أنْ يَقْبَلَ تَوبَتَنَا ..

وتَابَ الإِخْوةُ جَمِيعًا إِلى ربِّهِم مِمَّا اقْتَرفُوهُ من ذَنْبٍ ، وسَأَلُوهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ .. وقَالَ الأَخُ الأَكْبرُ فى تَوسُّلٍ :

ـ لَعلَّ ربَّنا يُبْدِلُنا جنَّةً خَيْرًا من جنَّتِنَا الْمُحترِقَةِ ، فَقدْ تُبْنَا إِلَيْهِ ، واعْتَرفْنَا بِخَطِيئَتِنَا ..

وقَالَ الأَخُ الأَوْسَطُ :

ـ إِنَّا نَرجُو عفْوَ اللَّهِ (تَعالى) ونَطْلُبُ إِحْسَانَهُ ..

وقَالَ الأَخُ الأَصْغَرُ :

ـ نرجو من الله ذلك .. نرجو من الله ذلك ..

وهذه القصة تبين عاقبة البخل ومنع أداء الزكاة، التى هى حق الفقراء فى أموال الأغنياء ..

وقد وردت قصة «أصحاب الجنة» فى سورة القلم ..

قال الله (تعالى):

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾
وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ
كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ
﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ
﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ
مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ
رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾
قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ
رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴾

[سورة القلم : الآيات ١٧ ـ ٣٢]

(تمت)

رقم الإيداع : ١١٩٨٣ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولى : ٢ - ٩٦٩ - ٢٦٦ - ٩٧٧